



تقدير موقف

مناطق خفض التصعيد:

إستراتيجية روسيا في حسم الصراع السوري عسكرياً

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | يوليو 2018

مناطق خفض التصعيد: إستراتيجية روسيا في حسم الصراع السوري عسكرياً

سلسلة: تقدير موقف

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | يوليو 2018

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2018

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقية والتاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليةّ عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامجٍ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات

المبنى رقم 196

شارع الطرفة (800)

منطقة 70، وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعّين، قطر

هاتف: +974 44199777

www.dohainstitute.org

المحتويات

- 1 إنشاء مناطق خفض التصعيد قبل الإجهاز عليها
- 4 توزع مناطق السيطرة ومستقبلها
- 6 خاتمة

بعد تسريبات إعلامية عن تفاهات روسية - إسرائيلية بشأن منطقة خفض التصعيد في جنوب غرب سورية، أطلق النظام السوري حملة عسكرية تستهدف السيطرة عليها بالقوة أو عبر فرض اتفاقات استسلام على فصائل المعارضة الموجودة فيها في استعادة لسيناريو الغوطة الشرقية وريف حمص الشمالي؛ ما أعاد طرح التساؤل ما إذا كانت مناطق خفض التصعيد التي ابتدعتها روسيا مجرد خدعة للقضاء على المعارضة المسلحة، وإعادة فرض سيطرة النظام على هذه المناطق بالتدريج.

إنشاء مناطق خفض التصعيد قبل الإجهاد عليها

بعد سقوط مدينة حلب بيد قوات النظام السوري في كانون الأول/ديسمبر 2016، واتفاق روسي - تركي تضمن سحب قوات المعارضة من جزء المدينة الشرقي، بعد معارك كبيرة، أطلقت موسكو مسار أستانة الذي أصبح ثلاثيًا بانضمام إيران إليه. وبعد جولات تفاوضية عديدة، توصلت "الدول الضامنة"، في 4 أيار/مايو 2017، إلى اتفاق لإنشاء أربع مناطق لخفض التصعيد: إدلب، وريف حمص الشمالي، والغوطة الشرقية، والمنطقة الجنوبية¹. ولاحتواء الدور الإيراني على ما يبدو، نسق الروس مع أطراف خارجية مختلفة تفاصيل تنفيذ اتفاقات خفض التصعيد في كل منطقة من هذه المناطق. فتم على هامش قمة دول مجموعة العشرين في مدينة هامبورغ الألمانية في 7 تموز/يوليو 2017، التوصل إلى اتفاق مع واشنطن حول إقامة منطقة خفض تصعيد في جنوب غرب سورية، ووضعت تفاصيله بمشاركة الأردن، في اتفاق لاحق في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2017. وفي تموز/يوليو 2017، أعلنت وزارة الدفاع الروسية عن الاتفاق مع فصائل المعارضة السورية، عبر وساطة مصرية، على آليات خفض التصعيد في الغوطة الشرقية، ورفي حمص الشمالي وحماة الجنوبي. وخلال الجولة السادسة من مفاوضات أستانة، توصل الروس والإيرانيون والأتراك، في منتصف أيلول/سبتمبر 2017، إلى اتفاق على تفاصيل منطقة خفض تصعيد التوتر في إدلب، والتي شملت أجزاء من أرياف حماة، وحلب، واللاذقية. وجرى الاتفاق برعاية مصرية بين الروس وفصائل من المعارضة المسلحة، في 12 تشرين الأول/أكتوبر 2017 على ضم مناطق ريف دمشق الجنوبي إلى منطقة خفض التصعيد في الغوطة الشرقية.

¹ "النص الكامل لاتفاق 'وقف التصعيد' بسورية"، الجزيرة نت، 2017/5/7، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2H1wLXj>

وفي حين كانت روسيا تضع تفاصيل مناطق خفض التصعيد، دخلت في سباق مع الأميركيين للسيطرة على الأراضي التي كان يحتلها تنظيم الدولة "داعش". وفيما سيطرت واشنطن عبر حلفائها الأكرد على مناطق شرق الفرات، تمكنت موسكو من انتزاع أكثر مناطق داعش في مناطق البادية السورية وغرب الفرات وصولاً إلى دير الزور. سمح هذا التطور للرئيس فلاديمير بوتين بأن يعلن من موسكو عن إيقاع "الهزيمة الكاملة" بداعش على ضفتي نهر الفرات، وذلك قبل أن يصل إلى قاعدة حميميم الجوية ليؤكد منها أن "المهمة الروسية ضد تنظيم داعش الإرهابي قد أنجزت تقريباً"²، وأمر بـ "بدء سحب القوات الروسية" من سورية (وهو تكتيك يستخدمه بوتين منذ بداية التدخل الروسي، إذ يعلن بعد كل مرة يحقق فيها أحد أهدافه في سورية عن بدء سحب قواته من دون تنفيذ الانسحاب فعلاً).

لكن روسيا كانت في حقيقة الأمر تحضر لبدء سلسلة من العمليات العسكرية، للقضاء على المعارضة المسلحة في مناطق خفض التصعيد تبعاً. وما أن أنهى الرئيس بوتين زيارته الخاطفة إلى حميميم، حتى أطلق النظام السوري، بدعم جوي روسي كثيف، عملية عسكرية واسعة في منطقة خفض التصعيد المتفق عليها في إدلب³. وبعد ثلاثة أيام على إطلاق العملية، أعلن رئيس هيئة الأركان الروسية الجنرال فاليري غيراسيموف أن مهمة قوات بلاده في عام 2018 ستكون "القضاء التام" على جبهة النصرة في مختلف مناطق خفض التصعيد⁴.

تزامنت العملية العسكرية الروسية في إدلب مع دخول المفاوضات مع تركيا حول عفرين وتحضيرات مؤتمر "الحوار الوطني السوري" في سوتشي مرحلة حاسمة، انتهت بإعطاء موسكو الضوء الأخضر للأترك لإطلاق عملية عسكرية ضد وحدات حماية الشعب في منطقة عفرين بريف حلب الشمالي الغربي⁵. في هذه الأثناء، تمكنت قوات النظام من السيطرة نهائياً على مطار أبو الصهور في ريف إدلب الشرقي بعد معارك طاحنة،

² "بوتين يأمر ببدء سحب القوات الروسية من سوريا"، رويترز، 2017/12/11، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2Ns3Ksa>

³ "رجل روسيا"، العقيد سهيل الحسن سيخوض معارك ريف إدلب"، العربي الجديد، 2017/12/13، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2KxXnFK>

⁴ "موسكو: مهمتنا في 2018 القضاء على 'النصرة'، الشرق الأوسط، 2017/12/28، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2Nph6FC>

⁵ "المرّة الخامسة في شهر.. جاويش أوغلو ولافروف يتباحثان هاتفياً"، وكالة الأناضول، 2018/1/30، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2z5r1f3>

تدخلت فيها تركيا عسكرياً لأول مرة⁶ في رد على انتهاك النظام لما سمي حينها اتفاق "سكة الحجاز" الذي تم التوصل إليه في أستانة في منتصف أيلول/ سبتمبر 2017 بين رعاة مناطق خفض التصعيد الثلاث، ونص على إنشاء منطقتين: الأولى بين سكة الحديد وطريق حلب - حمص، وهي منطقة عمليات عسكرية لروسيا ضد هيئة تحرير الشام (النصرة سابقاً) بحيث تضم هذه المنطقة إلى مناطق النظام. والثانية بين الطريق وريف اللاذقية غرباً، وهي منطقة خفض التصعيد التي تسيطر عليها فصائل المعارضة المدعومة من تركيا⁷.

أثمرت التوافقات التركية - الروسية التي سمحت لتركيا بدخول عفرين، في مقابل الضغط على فصائل في المعارضة للمشاركة في مؤتمر سوتشي الذي كان مهدداً بالفشل⁸، عن توقف عملية إدلب وتوجه قوات النظام إلى غوطة دمشق الشرقية⁹.

أطلق وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف الهجوم على الغوطة بتصريح قال فيه إن "تجربة تحرير حلب يمكن تطبيقها في الغوطة"¹⁰. وبعد أيام، شن النظام، مدعوماً بالروس، هجوماً متعدد المحاور على مواقع فصائل المعارضة في الغوطة، انتهى إلى فرض اتفاقيات "مصالحة" هجرت مسلحي المعارضة من مناطقهم وقراهم مع أسرهم إلى الشمال السوري الواقع تحت سيطرة فصائل معارضة قريبة من تركيا¹¹.

⁶ "مصفحات تركية تدخل معارك إدلب لأول مرة"، موقع عنب بلدي، 2018/1/11، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2KMIsn6>

⁷ "ضربات 'النصرة' الاستباقية تعجل تنفيذ الاتفاق الروسي - التركي حول إدلب"، الشرق الأوسط، 2017/9/20، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2lQF6Vt>

⁸ تحدث مراقبون عن اتفاق مقايضة بين روسيا وتركيا بشأن عفرين وإدلب. للمزيد، انظر: "صفقة روسية تركية: عفرين مقابل إدلب"، روسيا اليوم، 2018/1/22، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2KOSmtv>؛ وتحدث آخرون عن مقايضة تركية - روسية حول الغوطة الشرقية وعفرين، انظر: موسى عاصي، "الغوطة مقابل عفرين وتآزم بين روسيا والغرب"، النهار اللبنانية، 2018/3/17، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2KPITy4>

⁹ "قوات النمر" تغادر إدلب لبدء معركة في الغوطة"، موقع مدار اليوم، 2018/2/13، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2NpAjH8>

¹⁰ "لافروف: تجربة تحرير حلب قابلة للتطبيق في الغوطة الشرقية"، روسيا اليوم، 2018/2/19، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2tUvzkD>

¹¹ "الروس يدخلون دوما ويعلمون استعادة كامل الغوطة"، الجزيرة نت، 2018/4/12، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2JFLnxY>

خلال أيام، لاقت المصير ذاته الفصائل المعارضة في قرى وبلدات القلمون الشرقي، وأحياء القدم والعسالي في جنوب العاصمة، إضافة إلى بلدات بيت سحم، وبييلا، وبيلا في الريف الجنوبي لدمشق، ومدن وبلدات ريفي حمص الشمالي وحماة الجنوبي. ولم يتبق سوى مجموعة صغيرة من تنظيم داعش في حي الحجر الأسود، جرى التفاوض معها على الخروج بعد معارك شرسة. واكتسى اتفاق إجلاء "هيئة تحرير الشام" من مخيم اليرموك في جنوب دمشق أهمية خاصة؛ لأنه أتى ضمن صفقة شملت أيضًا إخلاء سكان بلدتي كفريا والفوعة، اللتين تقطنهما أغلبية شيعية وترعاهما إيران، في ريف إدلب الغربي¹².

توزع مناطق السيطرة ومستقبلها

ومع اقتراب النظام من تطهير مناطق سيطرته، في ما يسمى "سورية المفيدة"، من أي وجود مسلح سمحت به اتفاقات خفض التصعيد التي جرى التوصل إليها عبر القاهرة، لم يتبق سوى منطقتي خفض التصعيد في جنوب غرب سورية (درعا والقنيطرة)، التي تخضع لتفاهات روسية - أميركية - أردنية، ومنطقة إدلب التي تخضع لتفاهات تركية - إيرانية - روسية. وقبل أن يبدأ النظام الهجوم الأخير على منطقة خفض التصعيد في الجنوب، برزت في سورية أربع مناطق نفوذ رئيسة، تحكمها تفاهات مختلفة، كما يلي:

- ما يسمى سورية المفيدة؛ وهي أكبر تلك المناطق، يسيطر عليها النظام وتخضع لاتفاقات تنظم علاقة النظام بكل من الإيرانيين والروس، فضلاً عن تفاهات بين موسكو وطهران يتخللها تنافس خفي¹³. وقد أصدر رئيس النظام السوري بشار الأسد عددًا من القوانين التي تستكمل تهجير أعدائه، بسلب حقوقهم المالية والعينية، كان أهمها المرسوم رقم 10 الذي يفوض البلديات صلاحيات إقامة مناطق تنظيمية في الوحدات الإدارية¹⁴.

¹² "سانا: أبناء عن التوصل لاتفاق ينص على خروج 'داعش' من اليرموك إلى إدلب"، سبي إن إن، 2018/4/29، شوهد في <https://cnn.it/2MKR7XP>، في: 2018/7/4

¹³ "صحيفة إيرانية تتحدث عن 'صراع حصص' مع روسيا في سوريا"، الشرق الأوسط، 2018/1/19، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2KErHxl>؛ وأيضًا، "بعد طرد 'ميليشيات إيران'.. روسيا تستحوذ على عقود مناجم الفوسفات في البادية"، قناة أورينت، 2018/3/25، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2KEdiSl>

¹⁴ "ألمانيا تنتقد مرسومًا للأسد وتصفه بـ'الغدر'"، موقع صحيفة عنب بلدي، 2018/4/27، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2KEVFSb>

● منطقة شرق نهر الفرات، إضافة إلى جيبَي التنف والركبان، والتي يحكمها جميعًا اتفاقًا هامبورغ ودا نانغ، بين الرئيسين الأميركي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين، وكرسا اتفاق عدم التصادم الروسي - الأميركي لعام 2015. وقد استخدمت واشنطن في مناسبات عديدة القوة الساحقة ضد محاولات النظام والروس والإيرانيين اختبار التزامها تجاه استقرار هذه المناطق¹⁵. وتشترك فرنسا والسعودية في تفاهات مع الجانب الأميركي حول الترتيبات الخاصة بشرق الفرات، في حين تعبر تصريحات مسؤولين أترك عن اهتمامهم بمصير هذه المناطق، خصوصًا الرقة والقامشلي في محافظة الحسكة.

● الشريط الحدودي بين مدينة جرابلس على الضفة الغربية لنهر الفرات في شمال شرق محافظة حلب، وحتى أقصى شمال غرب محافظة اللاذقية، تشرف عليه تركيا. وقد ضم الجيش التركي إلى الشريط منطقة عفرين، وسمح اتفاق سكة الحجاز لتركيا بنشر نقاط مراقبة في مواقع عديدة بأرياف إدلب، وحماة، واللاذقية وحلب، إحداها في عمق الأراضي السورية على مسافة 200 كم من خط الحدود التركية - السورية¹⁶. وتُحكّم هذه المنطقة بتفاهات روسية - تركية، تسعى إيران لتعطيلها أو اللحاق بركبها. وتكثر في هذا الشريط المجموعات العسكرية الفاعلة؛ إذ باتت مدنه وقراه المحطة النهائية لمجموعات المعارضة المسلحة المهجرة من مناطقها السابقة.

● منطقة جنوب غرب سورية؛ وهي منطقة أسسها اتفاق روسي - أميركي - أردني، جرى التوصل إليه على مرحلتين في صيف وخريف 2017. لكنها تتعرض حاليًا لهجوم كبير من جانب النظام، في محاولة لاستعادة السيطرة عليها وضمها إلى مناطق سيطرته. وقد حاول الأردن التوصل إلى تفاهم مع روسيا للالتزام اتفاق خفض التصعيد بالمنطقة، لكن موسكو رفضت ذلك. وأبلغ لافروف وزير الخارجية الأردني، أيمن الصفدي، الذي سعى لانتزاع ضمانات روسية لتجنّب درعا مخاطر مواجهة عسكرية، أن "مناطق خفض التصعيد لا تشمل الجماعات الإرهابية، التي يجب القضاء عليها"، في إشارة إلى المنطقة الجنوبية¹⁷.

¹⁵ "ضجة في موسكو بعد مقتل 'مرتزقة روس' بضربة دبر الزور"، الشرق الأوسط، 2018/2/14، شوهد في 2018/7/4، في:

<https://bit.ly/2Klu5Dx>

¹⁶ "تركيا تتمدد في قلب سوريا"، الشرق الأوسط، 2018/4/4، شوهد في 2018/7/4، في: <https://bit.ly/2Nqht2v>

¹⁷ "لافروف: أشياء غريبة تحدث في منطقة التنف جنوبي سوريا"، روسيا اليوم، 2018/5/3، شوهد في 2018/7/4، في:

<https://bit.ly/2zjBlw3>

في المقابل، كانت روسيا قد توصلت إلى اتفاق مع إسرائيل، يسمح للنظام باستعادة السيطرة على المنطقة الجنوبية، شريطة إبعاد إيران ومليشياتها عن الحدود بين سورية والجولان المحتل. ويبدو أن هذا الاتفاق جزء من اتفاق روسي - أميركي أشمل (بالتفاهم مع إسرائيل)، يتضمن إخراج إيران كليًا من سورية، في مقابل إعادة تأهيل النظام والسماح له ببسط سلطته على أكثر أجزاء البلاد؛ ما يعني قبول إسرائيل للنظام السوري مع روسيا ومن دون إيران، ويفتح احتمالات متعددة مستقبلاً.

خاتمة

تبين بمرور الوقت أن مناطق خفض التصعيد لم تكن سوى خدعة روسية، هدفها الأساسي حسم الصراع في سورية عسكريًا لمصلحة النظام والقضاء بالقوة على فصائل المعارضة، بعيدًا عن أي حل يتضمن انتقالًا سياسيًا للسلطة. وبعد الإنجازات العسكرية الأخيرة، أصبح النظام أشدّ تصلبًا تجاه استئناف مفاوضات جنيف؛ إذ فشلت الجولة الثامنة منها، التي عُقدت في كانون الأول/ديسمبر 2017، في تحقيق أي تقدم؛ وذلك بسبب رفض وفد النظام بحث أي موضوع، قبل "إعادة سلطة الدولة على جميع الأراضي السورية وتحريرها من الإرهاب"، على حد قول رئيسه¹⁸.

بالمثل، بات الروس أكثر تشددًا في رفضهم مسار جنيف، بعد فوز بوتين بولاية رئاسية جديدة. كما غدت أكثر وضوحًا نياتهم المبيتة في تصفية منطقتي خفض التصعيد في جنوب غرب سورية (درعا والقنيطرة) وشمالها الغربي (إدلب)، بالتوازي مع مساعٍ لاستبدال مسار أستانة ونتائج مؤتمر سوتشي بمسار جنيف. ويسعى الروس للتحكم في نتائج أي عملية سياسية محتملة، عبر إعادة فرض وقائع على الأرض بالقوة أو من خلال مصالحات محلية في المناطق التي يصلها جيش النظام، وتقليصها إلى مجرد مفاوضات على حدود صلاحيات المركز والأطراف في الدستور، وتعديل عدد من القوانين كمرسوم الإدارة المحلية رقم (107)، ومرسوم إحداث مناطق تنظيمية رقم (10).

¹⁸ للمزيد انظر: "ورقة خماسية بقيادة أميركية: تقليص صلاحيات الرئيس"، موقع صالون سورية، 2018/1/26، شوهد في 2018/7/4،

في: <https://bit.ly/2No4XAD>

تتطلب هذه الاحتمالات من المعارضة العمل على وضع إستراتيجية سياسية جديدة، تتعلق بمجمل سورية وليس بهذه المنطقة أو تلك، تستهدف إفشال المخطط الروسي الساعي لإعادة تأهيل النظام بالتواطؤ مع إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية وبعض الدول العربية والأوروبية. كما أن المعارضة مدعوة إلى التمسك برفض إصباح الشرعية على الأمر الواقع، مع التركيز على مقاضاة النظام وكل من يسانده أمام المحاكم الدولية والوطنية التي تقبل دعاوى متعلقة بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية راح ضحيتها مئات الآلاف من السوريين.